وزارة الثقافة

أنا اليوم وحيدة

إيمان السباعي

قصص

أنا اليوم وحيدة

قصص

إيمان السباعي

وزارة الثقافة

سلسلة
كتابة

تصدرها
الهيئة العامة لقصور الثقافة

• أنا اليوم وحيدة
• إيمان السباعي
الهيئة العامة لقصور الثقافة
القاهرة 2013م
5ر13 × 5ر19 سم
• تصميم الغلاف:
أحمد الجنايني
• تدقيق لغوى:
جواد البابلي
• رقم الإيداع: ٥١٠٣/ ٢٠١٣
• الترقيم الدولي: 978-977-718-262-1
• المراسلات:
باسم / مدير التحرير
على العنوان التالي: 16 أ شارع أمين سامي - قصر العيني
القاهرة - رقم بريدي 11561
ت: 27947891 (داخلي: 180)

• الطباعة والتنفيذ:
شركة الأمل للطباعة والنشر
ت: 23904096

11

سلسلة شهرية تعنى بنشر إبداعات الشباب

أنا اليوم وحيدة

كم كـان غـريـبـاً أن تجـد نـفـسـهـا فى
العالم، منشغلة بقصة غير مألوفة إلى
هذا الحد!

عالم صوفى - جوستاين غاردر

إهـــــداء

إلـى الـــــقــــــارئ

عزف منفرد

● بيانو..

هى لا تذكر سواه من تلك الرحلة على المركب اليونانى.. لم تكن خائفة-على العكس-كانت تجرى بخفة جعلتها لا تكتفى بالفرجة من الشباك، بل تتسلل من الغرفة دون أن تشعر أمها التى وقعت تحت تأثير المشهد وبدت مسحورة تماما..

على سطح المركب كانت الشمس تجرح عينى فتاة صغيرة فى الخامسة تخفى عينها اليمنى بكفها الصغير وتترك اليسرى مفتوحة تتحدى الشمس بعناد ، تتحرك الفتاة مستكشفة ما حولها حتى تجده.. تنسى البحر ولعبة تحدى الشمس وتسير باتجاهه مبهورة بحجمه الكبير وسواده اللامع الذى لم ترَ مثله من قبل.. قالت أمها :اسمه بيانو

بيا.. نو.. تنطقها على مهل مثبتة عينيها عليه كأنها تناديه.. تشب على قدمين صغيرتين تمد ذراعيها وبأصابع مرتجفة تلمس المفاتيح البيضاء والسوداء .. تضغط بخفة وبطء.. ثم أسرع.. وبقوّة.

• أكورديون..

أنامله بيضاء جدا كوجهه.. شعره أصفر وعيناه خضراوان لونهما جميل واضح رغم نظارة كبيرة لا يخلعها أبدا عندما قالت له البنت :عايزه أعزف بيانو، ابتسم ابتسامة واسعة .. ربت ظهرها وقال :إيه رأيك في الأكورديون دا؟

أنا مله بيضاء جدا تتحرك بسرعة مدهشة على مفاتيح الأكورديون الذى أغرق البنات الصغيرات بالبهجة.. وجعلها تنسى البيانو.. أناشيد كثيرة حفظتها وأغان كثيرة رقصت على أنغامها كما استطاعت بسرعة أن تتعلم "النشيد الوطني" لتعزفه فى الطابور المدرسي..

للبنات أنامل صغيرة يحركنها على أكورديون معلق على الأكتاف، يصنع بمرور الوقت قتبا على ظهورهن..

للبنات أثداء صغيرة مدوّرة تعتصرها أنامله البيضاء فيبكين على موسيقى :بلادى.. بلادى..

• عـــود..

لماذا يشبه جسده العارِ ذلك العود على الكرسى ، باب الغرفة مغلق وشيش الشباك ، وذراعان مفتوحتان لجسدها المرتجف .. وجهها شاحب والعود على الكرسى هو الشيء الوحيد الذى تعرفه ويعرفها ، فى هذه اللحظة بالذات رفوف الكتب لا تعنى لها شيئا .. الغرفة الضيقة لا تتسع لبيانو أسود كبير .. فقط العود يجذبها لتلتصق به .. تترك له جسدها وتقاوم رغبةً فى البكاء على صدره الواسع ..

يكفى للانتحار

نزيلة الغرفة ٧ التي حاولت الانتحار اثنتا عشرة مرة نجت منها كلها ، لم تكن دميمة أبدا بل جميلة لهاجسد صغير . .

عندما أتت إلى "المصحة" أول مرة وجد الطبيب الشاب صعوبة فى تحديد الأسباب التى دفعتها إلى الانتحار . . كانت صادقة عندما أخبرته أنها منذ ثلاثة أشهر تحاول أن تصنع مركبا ورقيا ، وبرغم مئات المحاولات وأكوام الورق الأبيض التى استهلكتها لم تنجح فى صنع مركب ورقى صغير ولو مرة واحدة . .

تفرد الورقة البّيضاء . . تصنع ثنيات كثيرة ثم تمزقها . . يأست تماما فقررت ببساطة التوقف عن المحاولة . .

عودتها الثانية للمصحة كانت بعد فشلها فى تثبيت زرار بلوزتها الزرقاء المفضلة الذى ترك مكانه ليسقط على الأرض محدثا صوتاً بدا لها مدويا . .

استغرق الأمر أسبوعين من المحاولات ونقاط الدم التى خلّفتها الأصابع المرتعشة وهى تمسك بالإبرة المدببة الرقيقة .. كانت الرغبة فى رؤية المزيد من الدماء سببا فى اختيار سكين رائعة تدوس بخفة على الذراع الممدودة باستسلام ..

أما المحاولة الثالثة التى جعلتها نزيلة دائمة بالمصحة كانت كسابقتيها -غير منطقية على الإطلاق- من وجهة نظر الطبيب الشاب، أهداها خطيبها روايته المفضلة هدية عيد ميلادها لكنها ظلت لشهور لا يمكنها تجاوز الصفحات العشر، لم يغضب هو أبدا وبدا أن الامر لا يعنيه إلا أنها رأت استمرارها فى تلك الحياة أصبح مستحيلا..

كانت دائما تبتكر أسبابا وأساليبَ جديدة تثير إعجاب الأطباء وحسد النزلاء مما جعل الانتحار يبدو فى كل مرة معجزةً كالنجاة.

فى صبيحة أحد الأيام عندما وجدوهاَ ممدةً على سريرها.. وميتة.. لم يستطع أحد نسيان عينيها الجاحظتين برعبٍ ودهشة.

حكاية جبل النرجس

• **الحكاية الأسطورية**

الرائحة العفنة تزكم الأنوف فتغلق المدينة نوافذها وأبوابها .. منذ أن قُتلت بائعة العنب التى كرهتها كل نساء المدينة وتُركت جثتها لأيام على رمال الشاطيء دون أن يجرؤ أحدهم على الاقتراب منها حتى البحر والرائحة تملأ الشوارع وتثير الرعب فى القلوب .. الشائعات تدور بأن نساء المدينة جميعا نصبن لها الفخ واشتركن فى قتلها بعد أن تركهن رجالهن متتبعين أثرها .. كان صوتها يوقظ المدينة فى الصباح الباكر تنادى على عنبها الأسود الذى لم يتذوق أحدٌ من قبل مثل عصارته الحلوة .. البنت الوحيدة التى أحبت بائعة العنب وحفظت أغانيها بكت طويلا فى حجرتها وتقلبت فى سريرها تقتلها الحمى حزناً عليها .. كانت الحمى تشتد ولا يصلح معها دواء .. لجأت أمها إلى عجوز المدينة فأخبرتها أن الجان يسكن

جسد الفتاة ولا أمل فى شفائها لكن الصبى الذى يعمل لدى العجوز أخبرهم أن زهور النرجس وحدها يمكنها أن تطرد الجان لو تنفست الفتاة رائحة دخانها بعد أن تُحرق.. لا أحد يعلم من أين أتى هذا الصبى الذى طرق يوما باب العجوز طالبا خدمتها مقابل أن توفر له المأوى ولا من أين أتى بهذا العدد الكبير من زهور النرجس التى أحرقها وعبّأ حجرة الفتاة بدخانها كل ليلة لسنوات.. تقول البنت التى شفيت تماما والتى انبأها الصبى الذى اختفى أنها لن تهرم أبدا ولن تموت:

يأتينى فى مناماتى كل ليلة يصحبنى إلى جبل النرجس.. وهناك.. ألتقى بائعة العنب التى قتلتها الأغنية .

• الحكاية الخيالية

شوارع واسعة نظيفة تستقبل الصباح دائما برائحة زهور النرجس.. النرجس فى كل مكان.. أمام الأبواب أو معلقا بتلقائية على النوافذ، تعلقه بائعة العنب الأحمر فى فتحة جلبابها ذى الوردات الكبيرة بألوانها الزاهية .. رائحتها زكية تلك البائعة عنبها له طعم لم آنسه أبداً.. نتحلق حولها نحن أطفال العائلة نسترق النظر إلى وردة النرجس بين نهديها ، تطعمنا حبات العنب وهى تغنى أغنية لم نفهمها .. يسألني:

– عايزه تروحى جبل النرجس؟

لا ينتظر إجابتى.. يشير إلىّ أن أتبعه فأفعل! لا أذكر بالضبط

من كان هذا الدليل لكنى أذكر سخونة الرمال التى غاصت فيها قدماى طوال الطريق .. تبتعد المسافة التى قطعتها عن المنزل الصيفى الذى استأجرته عائلتى أمام البحر حتى لم أعد أتبين ملامح المكان حولى يلتفت الدليل كلما شعر بى خلفه أكاد أسقط من الإعياء ويعطينى حبة من عنقود العنب الذى أعطته له البائعة .. طالت المسافة.. دمعات ساخنة تنساب على خدى تسير فى خط مستقيم على رقبتى حتى تصل لنهدى الضامرين .. أغمض عينى فتجبرنى الرائحة أن أفتحهما.. يهمس.. اقتربنا.. نسرع الخطى حتى نصل.. يغطينا اللون الأبيض.. أنسى تعب الرحلة وأضحك ضحكات مجنونة عالية.. يراقبنى الدليل مبتسما ابتسامته الغريبة..

أصعد جبل الرمال بحذر وأمرّغ وجهى فى نعومة النرجس أقرر أن يكون جبل النرجس لى وحدى، سرى أنا وهذا الدليل، أتوسل إليه ألا يصحب سواى إلى الجبل لكنه يخبرنى أنه صحب قبلى الكثيرات ويطلب منى أن أعود معه ، غاضبة أقول بحزم :لا.. لن أعود

يرتبك الدليل ويخبرنى أنه يجب على العودة معه الآن وإلا لن أتمكن أبدا من العودة لكنى أصر على ما قررته .. أراقب الدليل يسير مبتعدا .. الآن .. الجبل لى وحدى.. أغمض عينى من جديد وأترك لرائحة النرجس جسدى .. حبات لؤلؤية من النرجس ترشنى وتزرع زهرة بين نهدى فيمتلآن خصوبة .. تجردنى يد أحدهم

من قميصي المبتل .. أفتح عيني فأجد المئات من بائعات العنب قد تحلقن حولي يُنشدن تلك الأغنية.. تقول بائعة العنب :الآن يمكنك أن تغني معي.

• الحكاية الواقعية

على قدميها الصغيرتين تصعد السلم الخشبي .. تمد يدها وتلتقط زجاجة العطر المكتوب عليها "so sexy" تلفها بعناية وتضعها داخل "شنطة هدايا" مطبوع عليها قلوب حمراء .. تمد يدها مرةً أخرى وتناول الزبون زجاجة العطرالتي لم تجرؤ يوما على شرائها .. بالطبع أمها لا يمكنها أن تعرف معنى المكتوب على الزجاجة ولن يفتش أحد حقيبتها لكنها تخاف.. تخاف وتكره النظرات اللزجة التي تحيط بها في كل مكان .. في محل العطور حيث تعمل وفي شارع ال" ٧ بنات" حيث تسكن.. كانت نرجس الأقل حظا من بين كل صديقاتها الائي أكملن دراستهن الجامعية أما هي فتركت مدرستها الثانوية بعد وفاة والدها لتعيل نفسها وأمها.. كانت الأقل حظا في كل شيء حتى في اسمها الذي لم يكن "شيك" كأسماء صديقاتها وزادت كراهيتها له بعد أن عملت في محل العطور فأصبح اسمها سببا في أن يتندر به صاحب عملها عندما يكون رائق المزاج مرددا مقطعا من فيلمٍ قديم ومقلدا صوت نعيمة عاكف بغنج "النرجس ولا التمر حنة.. النرجس يا نرجس.. "أما عندما يكون غاضبا فيزمجر كوحش باصقا عليها بقرف"عايشة

وسط البرفانات ومفيش فايدة فى ريحتك الزنخة يا بنت ال. . . .
"وهل حقا يشم رائحتها .. وهل يعرف أنها لا تقرب زجاجات العطور لأنها تذكرها باسمها الذى تكرهه وبالورد الذى لا يمنحها إياه فتاها أبداً قبل ان ينزع عنها ملابسها ويدخلها بعنف ورائحة عرقه الغزير تصيبها بالدوار، ينتهى منها بسرعة ويشرب سيجارته على أنغام الأغنية التى تحاصرها فى كل مكان تذهب إليه تنبعث من كاسيت الميكروباص الذى تستقله لمنزلها وكاسيت المحل الذى تعمل به :

"أحمر . . واصفر . . أحمر وزى اللوز . . واطعم كمان م الموز
العنب العنب العنب"

تصعد السلم الخشبى كل يوم عددا من المرات كمن يتسلق جبلا من الرائحة . . يأتيها نفس الزبون طالبا زجاجة عطر النرجس so sexy ينطقها متمهلا ضاغطا على الأحرف ومصوبا نظرته إليها . . تمد إليه يدها بالزجاجة فيرفضها متعمدا الضغط على أصابعها . .
"دى علشانك . . جربيها حلوة قوى . . "

تنزع ملابسها . . تفرغ الزجاجة بزخات متتالية على جسدها . . كل جسدها متخللة ثنياته وأشد أماكنه حساسية . . يدها على المقبض المعدنى . . تستقل السيارة بينما يدوى صوت الأغنية كاتماً صراخها إلى الأبد .

The end

الأضواء مطفأة.. ليس ستارا هذه المرة بل شاشة عرض كبيرة.. البطل وفي يده كأس به "سائل أصفر".. حركة الكاميرا تبرز توتر البطل استعدادا للمواجهة الحاسمة.. شخص ما يطلق الرصاص.. أحدهم يُقتل..

فجأة، تضاء القاعة فأغمض عيني.. أستسلم ليدك وهي تجذبني لفوضى الشارع، تسحب يدك وتحدثني بحماس عن الفيلم ، تتوقف لحظة لتتابع شقراء رشيقة تمر.. ألقي عليها نظرة محايدة قبل أن ألاحظ الثقب الذى يتوسط يدك اليمنى ويترك مكانه فراغا أسود، أحاول أن أخبرك لكنك تشير إليّ بيدك المثقوبة أن أصمت!

أنت الآن في حالة بوح نادرة، تروى لي ذكريات طفولتك ، تحدثني عن الفلسفة وعن العالم دون أن تنتبه إلى الثقب الذى يتخذ أشكالا عدة قبل أن يستحيل سكيناً تتسلل إلى شفتيك.

لجحوظِ عينيه

"من يسرق كتبا أو يحتفظ بكتب كان قد استعارها عسى أن يتحول الكتاب الموجود في يده إلى أفعى رقطاء وعسى أن يصاب بشلل ارتجافى قاهر وأنّ تشل جميع أطرافه، عسى أن يصرخ عالياً طالبا الرحمة وعسى ألا تنقطع آلامه إلى أن يتحول إلى رمة متفسخة وأن تعشش الديدان فى أحشائه مثل دود الموتى الذى لا يفنى"

تحذير معلق فى مكتبة دير سان بدرو فى برشلونة

• عصر النهضة

(تاريخ القراءة/ ألبرتو مانغويل)

(١)

عيناه تأكلان وجهي بشغف وعيناى تأكلان أغلفة الكتب الملونة بين يديه.. أبتسم وأنا أمد يدى ل"أخطف" رواية جديدة قبل أن أصافحه.

مَرآه بعينيه الضيقتين ونظارته الكبيرة وشعرات الشيب التى غزت رأسه لا يترك فى أى أثر.. لثغته وطريقته فى التلعثم وهو يتحدث بانفعال تثير بى اشمئزازا ألجح فى مداراته لأنعم بصحبة كتبه الفريدة..

على أرصفة النبى دانيال أقضى الساعات دون ملل لأفوز فى

نهاية المطاف بكتاب أو اثنين على الأكثر"أى كتاب ب ٢ جنيه" ، أنظر إلى يدى المغبرتين وأنا أدفع نقودى القليلة ، أنتفض عندما يصطدم بى بقوة بجلبابه القذر ورائحته النتنة فيسقط الكتاب من يدى . . تهاجمنى الرائحة القديمة للكتب الجديدة الملونة !

(٢)

رائحة السمك النفاذةالتى يعبق بها المكان لم تعد تشعرنى بالقرف ، اعتدت البقاء وحدى ليلا حيث لا يوجد سواى بالدور وحيث قصص الأشباح التى تسكن المستشفى القريب لا تفارق خيالى . .

"سُمّى كذلك لجحوظ عينيه" . . عمر طويل قد مر على إجابتى الناقصة . . أقرأ المعوذتين وأنزل عبر السرداب ، أبدأ بفتح الصناديق . . عشرات الصناديق بعضها فوق بعض . . الكائنات التى اختبأت لأعوام بين صفحات الورق الأصفر تلهب جلدى . . أقترب فيعلو صوت الفحيح . . يشقّنى . . يمتص ما تبقى بلا رحمة . .

(٣)

ونحن أيضا نعرف خرافة أخرى تنتمى لذلك العهد . . خرافة رجل الكتاب . . يقول الناس أن بأحد الأرفف بإحدى القاعات قد يوجد كتاب يكون الشفرة والموجزالكامل لكل الكتب الأخرى(١)

هكذا تحدث الرجل الذى يوجد فى مركز الدائرة بينما كانت

رائحة الديتول تشتد بما يوحي بالنظافة الفائقة للمكان . . الكتب مصفوفة على الأرفف بنظام ، سلالم كثيرة تنتهي بقاعات شاغرة

يقول الناس أن بأحد الأرفف بإحدى القاعات قد يوجد كتاب يكون الشفرة والموجز الكامل لكل الكتب الأخرى وأن أحد أمناء المكتبة قرأه

يرتفع صوت الرجل بانفعال . . الحركة منتظمة في الممرات وعلى الجدران والأسقف ، خطوات بطيئة من . . وإلى . . الأعين بيضاء والأيدى تعمل معاً في تناغم . . أراقب ما يحدث بينما يراقبني هو

"يقول الناس أن بأحد الأرفف بإحدى القاعات قد يوجد كتاب يكون الشفرة والموجز الكامل لكل الكتب الأخرى وأن أحدأمناء المكتبة قرأه وأنه شبه إله"

أهز كتفي لا مبالية وأستدير عائدة فيوقفني بحدة مطلقاً صرخاتٍ مدوّية "وأن أحد أمناء المكتبة قد قرأه وأنه شبه إله" ، أستمر في الصعود هازئة فيعلو صوت هذيانه"أحد الأرفف . . يكون الموجز . . القاعات . . شبه إله . . أمناء المكتبة"يبكي وينشج نشيجا لزجا ، يرتجف ويشحب لونه ، يفلت بوله على الأرض النظيفة فيسرع أحدهم بلعقه وهو يردد . . "وأنه شبه إله . . شبه إله"(١) .

بلا أي ندم . . أضع العصابة على عيني قبل أن أنضم إلى الجميع وأبدأ العمل .

هامــش

عندما يكون المرء وحده يكون وحده تماماً "صموئيل بيكيت"

أنت وإدوارد نورتون(٢) .

في البداية يبدو الأمر مسلياً فكأنك تريد أن تظل أطول وقت ممكن تراقب ما يحدث .. مع الوقت .. يصيبك فقدان السيطرة بالملل وعندما تريد العودة إلى النوم مرة أخرى تكتشف عدم المقدرة التى تحاول أن تقنع نفسك بفائدتها .. تشاهد المزيد من الأفلام .. تقرأ المزيد من الكتب .. تأكل بشراهة بعد أن عانيت فقدان الشهية .. تحاول أن تتحدث إلى أحدهم لكنك تفاجأ بما يشبه فقدان النطق !!الحياة توشك أن تتوقف لكنها لا تفعل .. تبحث عن حبة المنوم فتكتشف أنها فقدت .. المزيد من التعقيد كما تقتضى الحبكة العبثية !

أول علبة سجائر تشتريها تكون تحت تأثير ذلك الساحر..
سيجارة بعد الأخرى ومازالت لعينيك القدرة على توهم أشباحها،
يذوب المذاق المر في فمك ولأول مرة تضايقك رائحة الدخان ربما
لأنه دخانك !

إذن.. ستضيع الوقت فى اتخاذ قرارات تافهة أو مصيرية دون
تفكير، فى تذكر تواريخ ميلاد أصدقائك الذين نسيت أسماءهم
لكنك تتذكر وجوههم بوضوح.. ستتحرر فجأة من الشعور

بالواجب أو الذنب .. الحب أو الكراهية أو أى شيء آخر.. أنت
تريد أن ينتهى كل ذلك .. تردد بصوت خافت مضطرب أغنياتك
المفضلة يهتز جسدك فى حركة رتيبة لكنه لا يأتي
أنت

لا.. لا يمكنك أن تخبرهم.. الأمر ليس مجرد خروج على
اللياقة.. سيكون صادما بدرجة تسبب جروحا لا تسقط بالتقادم..
لا يمكنك أن تقول لهم :يمكننى الاستغناء عنكم ببساطة
واستبدالكم بمجموعة روايات أو c.d لأفلام جيدة.. أنت تحبهم بكل
تأكيد لكن لا علاقة للأمر بذلك، إنها عزلتك التى تفرضها عليك
قوانين عقلك وجسدك .. إنها آلتك الدائرة على الدوام وكل ما عدا
ذلك تورط فى أعطال توقفك على بداية انتحار، شقة صغيرة من
حجرة واحدة مرتبة ونظيفة حينها ستكون الديكتاتور الذى أردت ،
وحدك تستطيع أن تحدد مواعيد نومك ونوع وجباتك.. ترقص..
تعرى.. تجن.. تمارس جنسا من طرف واحد.. تظل لساعات

مفتوح العينين تحدق إلى أى شيء أو تبدأ حديثا مع شخص لا وجود له سوى فى ذاكرتك .. هل ستشعر بالملل من تلك العزلة يوما ما، هل ستفتقد وجود رائحة أخرى حتى لو كانت مجرد رائحة عفنة لأحدهم؟!

أنت وهو

مرة أخرى يسألك عن اسمك.. يمر سريعا على وجهك بعيون ذاهلة، وجهه الشمعى يغيب عنكم لساعات وهو يهذى بأسماء أبطاله المسرحيين.. يحكون عنه حكايات مذهلة ويسخرون من كوابيسه التى يحكيها بطريقة مثيرة للفزع والشفقة!

"آخر مرة حاقولك ما تنساش اسمى تاني" .. يبتسم ابتسامة ذات مغزى، هو الوحيد الذى يعرف حقيقتك بجنونه العبقرى.. يعرف أنك مفتون به تشاركه هذيانه ونفوره من الآخرين، ولأنه ممثل بارع يكتشف كذبتك وانت تتظاهر بالإندماج فى عالمهم المقرف يراقبك وأنت تتنفس براحة بعد انتهاء يوم عمل وبدء توهانك فى شوارع لا تعرف عنها سوى أنها تطل على البحر..

كم تريد الاقتراب منه لكنك تخشى فورات جنونه وتخشى أن تصبح أحد أبطاله الذين لا ينسى أسماءهم.

سليمة

ياريتنى طير وانطير
وجناحى على الأرض هافي

على مقهى بوسط البلد أتابع مشهدا أليفا للبحر . . أراقب دخان سيجارتى يرسم أجنحة بيضاء فى الفراغ "تواجد المرأة الحامل مع المدخنين يضر بالجنين ويسبب الإجهاض"

أضع سيجارة أخرى بين شفتى ، أتحسس جنينا فقدته عشرات المرات ولم أعد راغبة في استعادته . . أملأ رئتى بهواء البحر . .

كل صديقاتى اللائى انتقلن للمدينة الكبيرة مثلى يمارسن التدخين ويلاحقن نوارس بيضاء خرافية ، نخبيء علب السجائر فى حقائب منتفخة بالكتب ونتحدث بشراهة عن قصص حب لن تكتمل ونسأل عن "المحطة القادمة" لأننا غرباء ، نتسلى باصطياد الحواديت من شوارع لا نهتم بمعرفة أسمائها ، تمضى الأيام والشباك

فارغة لذا خبّأت سرها عن الصديقات الجائعات للحكايا .. هذا الصيد الثمين لي وحدى ، أبتسم وأنا أمد يدى إليها والتقط علبة مناديل ولا أقوى على الكلام فقط أراقب الوشم على الذقن المدور والتجاعيد المحفورة والعينين الذهبيتين .. كل شيء في هذا الجسد الضئيل المتكوّم على الرصيف تلفه عباءة سوداء يصيبني بالخوف والرهبة..

أصل إلى البئر غارقة في عرقي قدماى يكاد باطنهما ينسلخ من حرارة الرمل، أغسل وجهي وأبل عروقي، البئر حدودي التي لا أستطيع تجاوزها وإلا عرضت نفسي للدفن حية في تلك الرمال، الليلة قدري معه وجهه كوجوه كل الرجال الذين يمرون على البئر شديد السمرة والتعب، يفرغ في جوفي تأوهاته التي خبّأها لأميال طويلة يريح يده المتشققة على الجسد الحار وأنا أستعد كي أوارى الجسد الصغير اللدن أرض البيت

"لا يوجعك غير من مات ودانوا عليه اللحايد

كلّا غريب البلادات يعاود بطول المدايد"(٣).

أغلق الكتاب مبهورة الأنفاس، تلاحقني صورتها فأكمل قهوتي وأترك صديقاتي على المقهى دون أن أخبرهم وجهتي .. تبتسم فور رؤيتها لي ، أسألها :

أنت اسمك إيه؟

سليمة.. سليمة إنشالله يا بنيتي

نضحك سويا .. أمد يدى بنقودي القليلة فتمد يدها ب"لفّة"

وعلبة مناديل.. فى حجرتى أنظر إلى لفة القماش طويلا قبل أن أفتحها تطالعنى مرآة بإطار فضى وكردان نحاسى تعلو موسيقاه عند احتكاك حلقاته المعدنية ببعضها .. وجهى فى المرآة مدورا جميلا بعينين ذهبيتين واسعتين ووشم مدقوق على الذقن ، أفزع وأبعد المرآة ثم أعود وأقربها .. أراقب وجهى..

المزيد من رحلات البحث وعلب السجائر الفارغة والكوابيس التى أرى فيها سليمة بعباءتها السوداء المطرزة بخيوط الحرير تلفها النار ، أحيانا نتبادل الأدوار، فتحرق النار جسدى بينما تمد لى سليمة يدها بعلب المناديل وتطلب منى أن أجفف عرقي !

بطنى المتكوّرة تجبرنى على إيقاف رحلات البحث عن سليمة التى اختفت، صديقاتى يرفضن مجاراتى فى البحث عنها ويلعنون كتب السحر التى أكلت رأسى ويشرحون لى لماذا تبدو ملامح وجهى غريبة"البنت بتخلى أمها حلوة"

وجهى يزداد شبها بى.. سليمة ذهبت إلى البئر، يهمس لى الصوت بينما أسمع أولى صرخات جنينى.

فجوتا دماء للرؤية

عيناى. . . . . أصابعها

يتم الانتزاع بقسوة وعنف ، خمسة أصابع تصنع فجوةً كبيرة ، عشرة أصابع تصنع فجوتين كبيرتين. .

الدمية القبيحة تسحب أصابعها ببطءٍ موجع لتبدأ يداها في العمل. . هكذاتصنع شقا صغيرا يمكننى من خلاله أن أرى أمعائى تسبح في سوائل وعصارات ودماء، أريد أن أتقيأ لكننى أغلق فمى خشية أن أفقدالمزيدمن الدماءالمندفعة من كل خلاياى هاربة إلى أعلى.

بقسوة تضعنى ذراعاها أمام المرآة ثم تبدأبضحكٍ هيستيرى. . أتخلص منها بصعوبة ساحبة ساقى إلى الشارع الضيق وبدون أن ألتفت إلى الخلف أعرف أنها تتبعنى. . أجرى، وأجرى وأجرى، تتسع الشوارع قليلاويتسع الشق فتخرج أمعائى بشكلٍ مرعب.

المتظاهرون فى الميدان يمدون أيديهم ويلتقطون يدى ، يحاولون جذب ذراعى بقوة لأختبيء فى زحامهم لكنها تنفصل عن جسدى الذى يندفع بعيدامخلفاً ذهولا وصراخًا . .

بذراع مقطوعة وأمعاء ظاهرة وفجوتى دماء للرؤية أتابع العدْو . .

يرانى الرجل على المقهى فيظننى شبح المرأة التى يخونها ، وترانى المرأة العجوز فتحسبنى ملك الموت ، ويرانى الصبية الصغارفيجمعون الحصى ويحاولون سدالشق الذى يتسع لكنهم يفشلون فيتابعون لهوهم .

أجرجرساقى ساحبة أمعائى التى استطالت لتلامس قدمى ، وخلفى تماما تقف الدمية بعيون تلمع بنشوة الموت فأدرك أنها لحظة العودة . .

الطريق يضيق ثانية ، والجميع استبدلوا أعينهم بفجواتٍ من دمٍ متجلط . .

فى الميدان . . ظل المتظاهرون يرفعون لافتات سوداء وحمراء رغم سقوط أذرعهم . . وحدهم . . لم يستبدلواأعينهم بفجوات الدم الفارغة .

ذلك الصوت

.هل كنت وحيدا يا بيل؟

. ٣ هرتز

.الشعب يريد إسقاط النظام

هل كنت وحيدا يا بِيل؟(٤)

اختفت بلورات الصوت تدريجيا، الليل أزرق داكن يستحيل لأسود لا يمكّنهما من رؤية أصابعها وهي تدير قرص الهاتف، هاتف قديم بقرص مدوّر كما أحبته دائما.. لماذا تحن إلى أزمنة مضت لم تحياها، ومتى تعلمت لعبة أحلام اليقظة التي تجعلها بطلة فيلم أبيض وأسود يعاد كلما انتهى؟

....

....

الشفاة المضمومة على سرها تثيره، يراها بؤرة ضوء وحشى، أفعى كبيرة بلا فحيح لا تخيفه لكنها تربكه.. يتعلم كيف يتحدث إليها بمهارات الأصابع لكنها تتجاهله بابتسامة وقحة ، هكذا، تزج به تحت أكوام الزجاج.. صوت تكسّرها لا يثنيه عن دخول أنثاه، عيناه تحتفظ بتفاصيل الجسد كاملة عدا الشفتين..

.. ..

.. ..

للهاتف رنين لا تخطئه عندما يزورها صوته فى صباحات النرجس، من أجله تحفظ قصائد الشعر وتتعلم كيف تصنع من خواء تواريخها أساطيَر صغيرة تبهجه .. ثلاثة صباحات.. تعد على الأصابع ثم تتوقف، تدير القرص فتدور معها الكاميرا، تتوقف عند الشفتين، تبرزهما بشكل فاضح، يخرج الصوت متقطعا غليظا قبل أن تفقده..

طويلة هى الشوارع التى قطعها بحثا عن مصدر الصوت-أخيرا- وجده مخبأ ببساطة فى غرفته:

مرحبا.. هل تسمعني؟

أجابه بأغنية طويلة عن العشاق هو الذى لم تهدهده أمٌ بأغانى المنامات السعيدة.. صدره يمتلىء بالغضب الآن.. لأول مرة تخشاه غابة الشفاة الصامتة فيبدأ فى الكلام دون توقف.

• صوت الراوي

ليس الصوت كالرسائل.. لا يمكنك أن تنكره أو تمزقه.. تحتفظ به الذاكرة زمنا أطول مما تظن

أسلاك الهاتف تحمل بصمة الأصابع التى رسمت الدائرة لذا فقد فهمت تماما بماذا شعر بيل عندما صنع مصادفة هاتفه ذا الرنين ثم حطمه..

أما هي.. فتتخلص من كل الأصابع الآن.. وتبدأ في الصراخ.

٣ هرتز (٥)

من أين يأتى الصوت؟

من الغرفة المغلقة منذ أعوام..

جهاز صغير يمكنه أن يبدد خوف الرجل غريب الأطوار من نفسه.. تتسرب الموجات إلى غرفتى.. أغانى أسمهان تجعل كهرباء الحب تزورنى مبكرا

يخفيه فأعثر عليه .. أثبت المؤشر على مونت كارلو.. قرأت أن ماركونى ليس مخترع الراديو بل نيكولا تسلا.. الأغانى والأخبار.. المذيعة تتحدث عن طقس باريس الغائم بينما أعيد الراديو إلى مكانه..

صديقاتى يقرأن" روايات عبير" فى الحصص، بينما أترك عينى مغمضتين لأستعيد الأغنية:

"وانا كاتمة غرامى.. وغرامى هالكني"

لا غرام لى سوى بالراديو الصغير صخبه يجعل الرجل الغريب هادئا ويجعلني أرقص حتى يتخلص جسدى من قصص الحب التي أغوينني بها..
لماذا يصمت الآن؟
فراغ مخيف.. لا أعرف إن كانت تمطر فى باريس، أفتقد صوت المذيعة المشرق.. أفتقد أسمهان بشدة..
الرجل الغريب يترك الغرفة وفى جيب جلبابه كل المحطات التي عشقتها وكل المدن التى حلمت بها!
الشعب يريد إسقاط النظام
وعندما صاح الطفل: الملك عارِ.. لم تضحك.. قالت له: تلك رقعة الشطرنج يا عبيط.. ألا ترى الجميع هنا عراة.. خجل الطفل من نفسه.. فهي المرة الأولى التي يرى فيها ملكا.. قال:
أردت فقط أن أقلد طفل الحكاية(٦).
لست أمك لأحكى لك حكاية كل ليلة"أعرف ذلك فلا أمَّ لي"قال الطفل بفخرٍ كريه، فبكت:
"كم تمنيت أن تكون طفلي"
الملك يسير على السجادة الحمراء.. على السجادة الحمراء يسير الملك.. أين جوقة الإنشاد يا أولاد الكلب؟أين السجادة الحمراء؟
لماذا تتوقفين دوما هنا.. لأننى بالفعل لا أعرف بقية الحكاية..
لماذا لا تحكين حكاية أخرى إذن.. لأننى لا أعرف سواها!
أنا الذى لا امّ لى كبرت فى الحكاية.. أبى أنضج تفاحة آدم على الشجرة وقال: كُن.. أقصد كُل، فأكلت حتى انتفخت رئتى.. أنا

طفلك يا أبى فلماذا تمسخنى ضفدعاً . . من أجل الأميرة يا بنى .

مصر ياامة يا بهية . . يام طرحة وجلابية . . الملك عار . . الملك عار . . والذى لا أمَّ له كان بالأمس فى ميدان التحرير أشار إلى خمسين جثة مكوّمة بعضها فوق بعض ثم خلع ملابسه كلها فبان الزغب وطار الحمام . . الملك ليس عاريا يا أولاد الزناة وإلا أين ذهبت الحقول ؟

لم أسألك عن اسمك . . صوتك الذى يقف على عتبات رجولة وصلت إليها الرصاصة قبل أن تكملها طمأننى وسط كرات النار "صوتك حلو قوى اهتف واحنا حانرد وراك" ابتسمْتَ خجلا ربما من القميص والبنطلون الباليين تفضحهما الثقوب . . يا حبيبى كلنا هنا عراة وتلك ليست رقعة الشطرنج . . إنه ميدان التحرير .

• **كلمات مأثورة:**

(الشعب يريد إسقاط النظام)

أحد شهداء ثورة ٢٥ يناير . . عمره ١٥ سنة . . مجهول الاسم لا امّ له

(لقد كنت طفلا كثير الشرود وكنت أهيم فى الطرقات وقد أغلقت عينى حتى اعتقد الناس أن نظرى ليس على ما يرام، برغم أنه كان ولا يزال حادا لدرجة غير عادية)

هانز كريستيان أندرسن كاتب الحكاية التى يحبها الشهيد مجهول الاسم الذى لا امّ له

عينـــان

منذ أن شُفيت الفتاة من العمى.. اعتادت أن تفعل ذلك..

في البداية، كان يزعجها أن تصطدم بشيء ما فيسقط محدثا ضجة،

أو ترتطم فجأة بجدار فتسقط بأنينٍ مكتوم،

لكنّ الوجوه الصارمة، والوجوه الودودة أيضا أخافتها كثيرا، مما جعلها تتمرن بدأب ودون أن تملّ على مواصلة السير مغمضة العينين..

لأعوام.. اعتادت أن تفعل ذلك.. منذ أن شُفيت من العمى..

حكايات بنات

• **حرنكش**

وجهانا للبحر.. ظهرانا للعالم.. ترتفع موجة.. أضحك.. ترتفع موجة.. تضحك، على النافذة

رذاذ أزرق شفاف.. بخار تشكله أصابعنا وجوه، تمحوه أصابعنا وجوه..

شوارع ممتدة.. قلب وسهم وفراشة.. بنت بفيونكات..

"شعرك طويل .. وقع في البير.. ونزلت أجيبه.. "

أغنى لكِ.. لماذا تبكين الآن؟ أتوقف عن الغناء ولا أفهم، لكننى سأفهم

بعد قليل عندما تحكين لي عن ضفيرتك التى تسللت إليكِ ليلا والتفت حول عنقك

حتى كادت تقتلك لولا أن تشبثتِ بالبحر . .

تفتحين النافذة فتصيح الفتاة التى غسلت جسدها الصغير برمل الشاطيء عندما ترى خصلات شعرك الخشن تمتد من البحر إلى السماء على شكل . .

نورس أسود ضخم .

ظهرانا للبحر . . وجهانا للعالم . . بيد مرتعشة تعطيننى ثمرة صغيرة . . أقشرها

أرفعها إلى فمى مذاقها حلو لاذع . . "باحب الحرنكش" . . تقولين وأهتف أنا

بحماس "وانا باموت فيه" ، لكنك حزينة تتأملين القشرة بين يديك ذابلة جافة

"نفسى أمشى على الكورنيش . . ألمس البحر"

هل قلتِ ذلك أم تخيلت أنا أنك قلتيه . . لا يهم فالسيارة تتحرك الآن إلى مكان

آخر بعيدا عن البحر . .

عام مضى على آخر لقاء ولا أجرؤ بعد على أن أهاتفك وكم أريد ذلك لكنه . . زجاج العربة يا صديقتى و . . قدمى التى تعثرت بالرصيف وآلمتنى . . آلمتنى جدا لكنى لم أستطع الصراخ وأنت هناك تراقبيننى من زجاج العربة ، وضفيرتك تسخر من زحام" الباص" الذى يخنقنى . .

أنا لا أكتب قصة صدقينى أنا فقط أحاول أن أتحدث إليكِ لكن يبدو أنك لست هنا

هناك أنت .. وجهك للبحر ..
لا يمكننى أن أراك فأنت غارقة فى غابة من قشر الحرنكش
"باحب الحرنكش" .. تقولين .. وأنا يا صديقتى .. باموت فيه !

• زاوية حادة

"البنت الشلبية عيونها لوزية باحبك من قلبى يا قلبى وانتى عينيا .. "

تثبت عينيها على عينيّ:

- عايزه أبقى ساحرة

- ساحرة ؟ !

- زيك

يود البحر أن يخترقنا معا .. المسام تتسع تصبح كل منها دائرة كبيرة شرهة

أيدينا متشابكة ..

-حاسة ان انتِ أنا لما أكبر

- هو انا كبرت يا سارة ؟

دائما تحكى لى كوابيسها وأضحك وأنا أنصحها :

-اكتبيها دى تصلح قصص هايلة

لكنها لا تكتبها فقط تستمر فى رؤيتها ليلا,والذى لا تعرفه سارة أن أشباح كوابيسهاتأتينى نهارا فى عينيها تلك النظرة :أقتلك أو تقتليني,لكننا نلتقى ..

أنا وسارة .. ونغنى .. دائما نغنى أغانى فيروز :

"اديش كان فى ناس ع المفرق تنطر ناس وتشتى الدنى .. "

- أمس رأيتك فى الكابوس ورأيتهم كانوا يشيرون إليك بسباباتهم ويقولون ..

يقولون .. أشياء سيئة ..

- ماذا يقولون يا سارة

- فقط أشياء

تبكى سارة .. تمسك بيدى وتقول :يقولون إننى صغيرة لأصبح صديقتك ، واأت تركتينى .. هل ستتركينى .. كيف يهزمونك ..

- الروح ما لهاش زوايا يا سارة

تأتينى سارة تقرأ على قصتها الأولى .. أصفق قبل أن أحتضنها

- اهلا بيكِ يا ساحرة

تبتسم لى سارة .. أحيانا تبتسم .. وربما يمر يوم .. ربما يومان بلا كوابيس

نكتب ونغنى .. دائما نغنى لفيروز، وأنا لن أخبرها أبدا عن زاوية حادة تتبعنا الآن ..

• فراشـــة

هالةٌ تتبعكِ أينما ذهبتِ تصنعها خصلات شعر أشقر نافرة من تحت إيشارب أحمر صغير .. شفتان مزمومتان بقسوة تفتر عن ابتسامة لم أر فى مثل رقتها

عندما نلتقى مصادفة..

أرتاد نفس المقهى الذى ترتادينه والذى لم أكن أعرف أنك مثلى توقفت عن الرغبة فى ارتياده.

كنت أخجل من نفسى عندما أضبطها تراقبك من منضدتى القريبة:

كيف تشربين قهوتك، تتحدثين إلى صديقات وأصدقاء.. تقريبا نفس الوجوه لا تتغير، وأنت تتحدثين.. هادئة أحيانا بإيماءة وعينين شاردتين أحيانا أخرى بحماس زائد وإشارات تمكّننى من رؤية سيجارة مشتعلة بين أصبعيكِ يظهر وجهك من خلال دخانها كوجهٍ خارج من أسطورة.

تدهشنى رغبتى فى البوح لك بأسرار مخيفة.. لسنا صديقتين.. أعلم..

لكننى لا أعلم لماذا أردت أن أحكى لك عنها.. الفراشة التى ظلت تصاحبنى أياما فى المكتبة التى أعمل بها تنتقل بين أرسطو وابن عربى ومحمود درويش تحط على الكتاب بين يدى تتحرك برشاقة ويهيألى أن صوتا ما كان يصدر عنها

هل تغنى الفراشات؟ لا أعلم إن كانت الفراشات تغنى لكننى أعلم أن النور يجذبها وأن ألوانها كانت تجذبنا صغارا فنلاحقها حتى نتعب ولا نستطيع الإمساك بها أبدا.. "السعادة فراشة لا تسعى إليها فتهرب منك".. لا أذكر أين قرأت ذلك.. لا يهم.. هل انت سعيدة؟أنا سعيدة لأنك هاتفتنى فجأة وطلبت منى أن نلتقى

لتقرأين عليّ قصيدتك الجديدة.. في نفس المقهى.. لا ترتدين الإيشارب الأحمر.. بل أبيض.. ارتديت ملابس بيضاء جعلتك مع شحوب وجهك تبدين كملاك يحتضر وكأنك قديسة في لوحة من لوحات رفائيل.

- سأمنحك كتابا يغير حياتك.. "تقولين"

كان الكتاب في خفة الكائن التي لا تحتمل والتي سأنطقها كائن لا تحتمل خفته

فيقول لي:هذه ترجمة سيئة، سنلتقي بعدها كثيرا .. أنا وأنتِ.. أما هو فلن أسعى أبدا إلى لقائه .. سأنتظرالفراشة .. ربما!!

صديقتان إذن؟لا أدري!.. أحيانا تدخلين كهفك البعيد .. تصرخين بلا سبب..

تخمشين وجهك بأظافر دامية..

أحيانا ترقصين على إيقاع يخيفني .. تسخرين مني

أحيانا تبكين.. وأبكي..

صباح أمس بجوار كتاب قديم وجدت فراشتي، لم تكن تطير.. وضعتها برفق على باطن كفي حاولت أن أحرّك الجناح كان ملمسه رائعا كألوانه، وكان دافئا لكنه.. هل تموت الفراشات يا صديقتي؟!

• **طيارة ورق**

أتابعها بنظرة محايدة لأنني لم أحلم بها مثلك لم أجذب يد أمي

في الطريق لمنزلنا وأقول : أريد هذه ، وعندما ترفض لأنها اشترت لى الكثير اليوم أو لأن سعرها غاليا بالنسبة لطائرة ورقية(أخبط)قدمى بالأرض بقوة

وأصرخ :مش عايزه كل الحاجات التانية عايزه الطيارة بس ، لكن من قال إنك صرختِ وضربت الأرض بقدمين صغيرتين غاضبتين ؟ !

ربما لم تصرخي فقط سرت إلى البيت صامتة وحزينة مطرقة تتجنبين النظر إلى السماء التى لن ترفرف طائرتك بها وأنت تجذبين الخيط ثم تتركينه مشدوداً يكاد ينقطع دون أن تنتبهين تراقبين الطائرة وهى تعلو وتعلو . .

لا أدرى لماذا ألعب هذه اللعبة السخيفة . . لعبة التخيل . . الحكاية باختصار . .

لا أحد اشترى لك الطائرة فبدأتِ تكتبين القصص . .

قصص أطفال لديهم طائرات يدعونك للعب معهم لكنك ترفضين . .

تغمضين عينيك وتحلمين بها . . طائرتك الرائعة وحدها(تحتل)السماء لا طائرات أخرى ولا حتى عصافير . .

عندما التقيتكِ كنت تكتبين قصص فتيات وحيدات خلف جدران بلا نوافذ او أبواب . . نسير معا على الكورنيش نتأمل بعضنا بفرح نجحنا فى تجاوز جدران ثقيلة ولو لدقائق تحدثيننى عن الوجود والعدم وعبثية كامي التى انتهت بميتة تشبهه . . حادث سيارة . . أتذكرها . .

قامتها القصيرة ، وجهها المخيف ، عيناها المسحوبتان لأعلى . .
سخرت من صديقاتى عندما أخبروني :داليا اتخطفت نزلت تحت الأرض ورجعت دى بتقرا الكف و . . أضحك وأصمم على مواجهة داليا . . أنظر إليها بتحد . . أعطيها كفا منداة بعرق خفيف أحاول ان أتجاهل رعدة سرت بجسدى كله عندما لمستنى . . تأملت خطوط الكف الممدودة طويلا ثم تركتها بحزن ولم تتفوه بحرف واحد . . سألتها :
– مكتوب إيه
– بلاش أحسن تزعلي إذن تريد أن تنتقم منى لأننى سخرت منها أشعر أنها تستمتع بلعبتها
رؤية الترقب والخوف علي وجوهنا :
– لأ قولى مش هازعل تطلق تنهيدة قبل أن تتحدث :
– الغيب عند الله والأعمار بيد الله وأنا باقول اللى مكشوف لى وربنا الأعلم مقدمة لازمة للصاعقة التى ستنزل على رؤوسنا :
– انتِ هاتموتى صغيرة . . فى حادثة
صديقاتى واجمات وأنا أنفجر فى ضحك هيستيرى
– طب وماله ياداليا وهى دى حاجة تزعل
لكننى سأظل لسنوات تنتابنى رعدة وأنا أعبر الطريق . . (هاتموتى صغيرة) كبرت الآن بدرجة كافية لإبطال النبوءة . . وأنتِ كبرت . . نسير معا على الكورنيش
تحكين لي : عندما كانت مستغربة أوى انى لسه فاكرة حكاية

الطيارة عرضت عليا تشترى لى ١٠٠ طيارة بس انا ضحكت وقلت لها انا كبرت خلاص خليها تفضل حلم أحسن !"

مازلنا نسير وطوال الطريق لاحظت أنك كنتِ تتجنبين النظر إلى السماء فهل لاحظت أننى اتجنب النظر إلى عربات مسرعة تعبر !

فاصل إعلاني

فى الإعلان يبدو الطفل نظيفا جداً وهو يحتضن صابونة الحماية المزدوجة.. الطفل المعجزة الذى لا يمرض لذا لا يغيب أبدا عن المدرسة.. هناك احتفال كبير الجميع يصفق وأمه تبدو فخورة جدا

• **فاصل إعلاني**

صابونة الجمال ها أنت امرأة جديدة كل يوم

صورة امرأة عارية الكتفين تغطيهما رغوة الصابون

هناك طفل آخر ينظر بحقد لطفل الصابونة المزدوجة.. قميصه لونه أبيض مصفر.. وجهه أصفر ممصوص .. هناك احتفال كبير الكل يصفق بينما ينظرون إلى أم الطفل ذى القميص القذر بغضب وتأنيب وهى تطأطئ رأسها مخفية عن الجميع عينيها الدامعتين.

حادث مدرسة البنات التجريبية

أولا :وصف حجرة الفتيات الأربع :-
السرير تحت الشباك الخشبى، الملاءة لونها أبيض مصفر
السرير الآخر مواجها له بجوار الدولاب المعدنى ذى الضلفتين
سقف الحجرة شديد الانخفاض، مشجب وراء الباب يسقط بما عليه من ملابس باهتة عند غلق الباب أو فتحه
ملحوظة :هذا الوصف ينطبق على كل الغرف في المدرسة الداخلية
ملحوظة أخرى :الملابس على المشجب نظيفة تماما رغم آثار البقع وتقرحات تحت الإبطين.

ثانيا:أعراض المرض:-

الحكة الليلة

الحساسية الشديدة بالجلد التى تزداد بعد الاستحمام تظهر هذه الحكة فى جميع أجزاء الجسم بالمناطق الدافئة به كثنايا الجلد وبالجذع والأطراف ، و الإبطين، بين الأصابع وحول السرة والأرداف والمرفقين وباطن الرسغ.
فى المرأة يظهر على الحلمتين والصدر وفى الرجل يظهر على القضيب وكيس الخصية عقد أو بثورحمراءبسبب الخدش من الهرش الشديد قد تظهر فقاقيع تقيحية على الجلد

فاصل إعلاني

مسحوق إزالة البقع الصعبة والمستحيلة مسحوقك نظافته
تزغلل صورة الممثلة الشهيرة تحمل المسحوق تتطاير حولها الفقاقيع
حريق غامض بمدرسة تجريبية للبنات
"خبر بإحدى الصحف بتاريخ ١٥ / ١١ / ١٩٨٩ "

مواجهات

(١)

هذه المرة.. قررتْ ألا تكتب عن النوافذ، وألا تهتم بأمر المرأة الأخرى التي تراقب انسيابية الضوء عبر ثقب باب خشبي مقشور..

اضطرت أن تحدق بالمارة وهي تعبرإلى الجهة الأخرى من الطريق وانتبهت فجأة إلى برودة الجو عندما رأت أحذية (البوت) عبر واجهة إحدى المحال..

أخيرا.. اشترت نظارة شمسية وجريدة بها صور كثيرة مصبوغة بلون أحمر رديء لم تكن استعدت بعد للعودة عندما امتلأ الشارع بنساءٍ عجائز يعبرن إليها.

(٢)

هذه المرة.. قررت ألا تكتب عن النساء.. استعارت كتاب ال (anatomy)[٧] من صديقتها طالبة الطب، قرأت بشغف:

الناحية التشريحية لجسد رجل أعمى فى الأتوبيس المزدحم ، انحشر جسدها الطرى فى محاولة أخيرة للحاق بموعدها الأول معه ، حاصرتها لمسات جائعة لأصابع خشنة ترتدى نظارات كبيرة . . ضحكت . . الرجال عميان ، يا للمساكين !

بعد منتصف المسافة ، قررت عدم الذهاب للموعد . . تركت الأتوبيس المزدحم تلاحقها الأعين الزجاجية بحقد .

أنا اليوم وحيدة

قالت للقطة السوداء ذات العينين اللامعتين :

أنا لا أخافك اليوم ، تعالى وحكّى ساقى بشعرك الناعم ، أنا اليوم وحيدة لذا سأعطيكى خبزى كله وأتركك تخربشين جلدى بأظافرك . . خافت القطة السوداء وجرت !

قالت للحارس الضخم ذى الوجه القبيح :

أنت وسيم . . لم أرَ من هو أشد منك وسامة . . أنا اليوم وحيدة فتعال واحك لى قصص بطولاتك وأنت تفك أزرار بنطالك . . أنا اليوم وحيدة ولن أصرخ كعادتى . . سأتوسل لك و . .

وضع الحارس مسدسه فى فمه وضغط زناده !

. . . .

قالت للشارع المزدحم :

دع عـربـاتك تـصـطـدم بى بـخـفـة، دع نـسـاءك يـدهـسـن حـذائى وأطفالك يلطخون وجهى بطين أيديهم، فأنا اليوم وحيدة.. هكذا ابتلع الشارع كل العربات والمارة!

الخضراء

(١)

وخزات ألم خفيف يشتد.. بقع حمراء على سروالى الداخلى..
ذعر يجتاحنى وهى تصرخ بي:
"انتِ مدمّة.. ستجلبين الخراب"
فى البرارى، تبحث عن صيدها الثمين
جعبة السهام لم تعد ممتلئة ، والكاهنات تخلين عنها
تغرس قدميها فى الطين الكثيف، يعلو غناؤها يستحث المطر

(٢)

تصطحبنى معها.. تتفتح مسامى ، ألصق خدى بالعيدان الخضراء غير عابئة بلسعات الدبابير، الأخضر يغطى كل المساحات، دوائر الأكسجين تضيق.. أتعثر فى جلبابى الطويل

أ . . س . . ق . . ط

يا أرتميس[٨] القديمة ، ساعدينا ، لا ثمار لنا ولا أشجار

جئنا إليك بالنساء والرجال والأطفال وحيواناتنا كلها

خذى فتياتنا بكارتهن ملكاً لك ، أضيئى شعلتك واتركى غابتنا تحيا

(٣)

نجلس فى الصالون ، يأتي العريس بجلبابه الأبيض وبيده منديل تتوسطه بقعة حمراء ، تزغرد جدتي وأنا أبكى ، تنهرنى لكننى لا أتوقف عن البكاء فتسحبنى من يدى ونسير معا إلى البيت الكبير . .

(٤)

صورة معلقة على الجدار بالأبيض والأسود . . طرحتها السوداء الشيفون . . هذا كل ما تبقّى ، ذهبت دون أن أجرؤ على سؤالها لماذا لم تصطحبنى معها إلى "الأرض" مرة أخرى ، ولماذا يجعل دمى الأرض بورا ؟ !

نظريتها فى الشياطين التى تسكن جسدى تؤكدها مئات الكتب التى أغرق فيها هربا من لعنة أجهلها . .

حافية . . أغرس قدمى فى الطين الكثيف ، تزورنى فى مناماتى ، تطرد كوابيسا ملآى ببقع حمراء .

بقى عايز تنساني

الشارع مزدحم، يصطدم جسدى بالأجساد التى تسير لامبالية، أترك الرصيف لأملأ المساحات الخالية بين العربات.. مشهد فتاة الفيلم بجسدها العارالملتصق بجسد فتاها الوسيم مازال عالقا بعينى.. ماذا يحدث لو ينضغط جسدى بين سيارتين؟.. يلاحقنى السباب بينما تحاول السيارات أن تتفادى جسدى لكننى أستمر فى اللعب والتخيلات حتى يوقفنى الصوت :

بقى عايز تنسانى وتزود حرماني

أعرف الأغنية.. ألتفت تجاه الصوت وأنا أعبر بطريقة آلية ناسية لعبة العربات..

كان يقف في المنتصف، رجل سبعينى ضخم يرتدى معطفاً شتويا ذا ألوان رمادية متداخلة ، عيناه تبدوان تحت نظارتيه جامدتان بلا أى

تعبير لكن عضلات وجهه تنقبض لتصبح التجاعيد أكثر وضوحا وحدّة وهو يغني بصوت جميل قوى وحزين نفس الكوبليه :

بقى عايز تنساني وتزود حرماني

يهتز جسده بوقار وتبدو حركات يديه متناسقة وهو يكرربصوت أعلى كل مرة ليجذب عددا أكبر من المارة الذين سحرهم الصوت مثلى فتجمعوا يراقبون ما يحدث وقوفا بعد أن امتلأت المقاعد الخشبية القليلة المتناثرة فى حديقة الانتظار كان البعض يحاول أن يستفيق من ذهوله ليتساءل بصوتٍ خافت :

مجنون ؟ ؟

تدريجيا بدأت الحديقة تخلو إلا من عدد قليل اصطف على المقاعد الخشبية ليصبح المكان أشبه بمسرح حقيقى ، أحدهم يبتسم محركا رأسه مع الأغنية وأنا أتقدم ببطء نحو مقعد مواجه للرجل . .

جلست وحدى قبالته . . عيناه الجامدتان تزعجنى ، من المؤكد أنه مجنون من نوع ما قرأت مرة أن عيون المجانين تبدو هكذا ، مسحورة بالغناء كنت أنظر إلى الرجل وهو يتقدم نحوى بثبات ويغنى بانفعال حقيقى بدا لى مخيفا . . الرجل يقترب أكثر . . هل يخفي سكينا ؟ ، تلك الأغنية الحزينة هل يغنيها لامرأة خائنة سينتقم منها الآن ويرشق السكين فى جسدي ؟ ! . . على بعد خطوة واحدة يواجهنى ، يبدو فزِعاً هو الآخر ، أنهض بسرعة أحاول أن أجرى فيتوقف عن الغناء :

"خايفة ليه اقعدى . . الجنينة دى للجميع"

أحرك رأسى كعلامة إيجاب ، أطيعه وأعاود الجلوس ، يتحرك هذه المرة بعيدا نحو المنتصف مرة أخرى ويرتفع صوته الجميل :

طب انسى

وانا حانسى

انا مش هارجعلك تانى . .

ثلاثة مقاطع لموتى

(١)

تتفتح الشمس كابوسا يوميا يتسرب من قبضة الأصابع النحيلة العصبية وهى ترتخى باستسلام بعد ليلة من المقاومة.. يتشنج الجسد المحموم تحت ملابس تكشف عن هزيمتها المتكررة أمام رجل له عين واحدة وأسنان متكسرة، تتذكر حكاية عن الذى عشق تفاحة بعد أن ألقى بها فى بئر عفنة، تنزع ملابسها، تحاول أن تستعيد ملمسها فلا تجد سوى نتوءات اللحم التى تجرح كفيها فتحكّهما بزجاج النافذة الوحيدة الباقية..

يصم أذنيها أزيزأشبه بصرخات سفلية قبل أن.. تختفى النافذة!

(٢)

الجثة التى أرعبتها بالأمس حتى الموت زارتها الليلة أيضا ، لكنها ولدهشتها بصقت على الوجه الأزرق البارد وهى تثقب العينين المسبلتين !

بدت لها الجثة المرعبة حقيقية ومضحكة قبل أن تغمض عينيها وتتمدد جانبها !

(٣)

سنوات .. وهو يحاول الصعود إلى سماءٍ أولى .. الطائر الذى نبت له جناح واحد وسبعة أرجل نزع الليلة جناحه بشجاعة ..

بعد سبعة أعوام، رأته وهو يمشي بخفة ، وقدنبتت له سبعةأجنحة !

حذاء شارلی شابلن

يضع فردة الحذاء فى إناء الطبخ، حركته السريعة ترسم ابتسامة على شفتيها، تخفض رأسها فيأتيها صوت أمها الحاد:

"لا تنظرى إلى حذائك المقطوع"

يرفع الحذاء من الإناء إلى الطبق ويبدأ بتقسيمه إلى قطع صغيرة مستخدماً سكيناً.. يضع قطعة فى فمه ويمضغها.. تخفض رأسها فيأتيها صوت أمها:

"اشكرى الله ,فلكِ قدمان وليس واحدة"

يعلو صوت ضحكاتها مع كل قطعة يبتلعها الرجل.. الطبق فارغ وهى لم تعد خائفة من أن يعاقبها الله ويأخذإحدى قدميها كما تقول أمها، هكذا اجترأت لترفع رأسها صارخة:

"فليأخذها إذن كى يمكننى من شراء فردة حذاء واحدة جديدة"

جعلتها تلك الكلمات تشعر برضى سيظل ملازماً لها طيلة حياتها حتى فى تلك المرات التى ذهبت فيها بعيداً بقدمين عاريتين.

الحياة الأخرى لملكة البجع

إلى مارينا سيمينوفا(٩).

ستقول له بانفعال ساذج: كان نفسى أكون باليرينا

سيمر على جسدها بنظرة طويلة غير متعاطفة ويقول: جسمك ما ينفعش تتفحص جسدها أمام مرآة الحمام الكبيرة وتهيء نفسها للجنى الذى قالت لها أنه سيسكنها إن استمرت فى التعرى أمام المرآة.. وحده يستطيع أن يساعدها .. لن يكون الجنى كما تخيلته قبيحا مرعبا سيكون هذه المرة على هيئة شيخ له ذقن بيضاء ممسكا بسبحة فضية فى يده النظيفة مقلمة الأظافر.. ستقول له: لكنك لست الجنى فيجيبها بل أنا صورته فى المرآة..

فى الليل يبدأ طقس الألم.. تنزع ما أحاط بوجهها فى النهار من الريش وهى تصرخ صرخات سريعة خافتة.. نبت الريش أيضا على الساقين الناعمتين.. يترك الريش فراغات ونقاط من الدم.. فى

الليل تترك بجعاتها وتذهب إلى ا لساحة حيث تبكى موتاها وتغوص قدماها المتشنجتان في بحيرة حمراء حقيقية . .

مازالت تتذكر صوته ورائحته الحلوة وهو يهمس فى أذنيها الصغيرتين"الله أكبر الله أكبر . . أشهد أن لا إله إلا الله . . أشهد أن محمدا رسول الله"

لا أحد يصدقها لكنها تتذكره وتقف طويلا أمام المقام ليدلها عليه . . تتجول فى المدينة وتترك على الرمال آثار قدمين عاريتين . . للبحر أحوال . . والقمر يأتيها فى المنام مشقوقا له جناحان كبيران . . للقمر أن يعكس ضوء الشمس ويعكس أيضا وجهها مشقوقا وفارغا . . معدتها فارغة منذ الصباح . . تشعر بالجوع وتتذكر ما قالوه لها عن قهر الجسد .

يدرك البولشوى أنها بجعته التى يبحث عنها . . تحزنها بحيرته الزائفة لكنها تغمض عينيها وتترك الموسيقى تغمرها بماءٍ خيالى تدور دورات عديدة فى الهواء يشف ثوبها عن الجسد الملائكى الكمال، الذراعان المتموجتان والساقان السابحتان . . صار لا بد من أمير . .

قالت :أنا عن نفسى أفضل لو كنت بجعة . . نظر لها من فوق الكوب نصف الفارغ . . هى لا تحب رائحة البيرة التى يحبها . . ولا تحب أن يتجاهل طلبها الدائم بأن يكون دليلها إلى رجلها الطيب الذى ما زالت تذكر صوت آذانه . . قال :لا شيء هناك صدقينى . . استمعا معا إلى تشايكوفسكى . . لم يرقصا لأنها لا تجيد الرقص . .

هى أيضا لا تصلح أن تكون ملاكا.. قالوا :الملاك لا يمكن أن يكون أنثى.. وقال بعد أن فرغ كأس البيرة:لا توجد ملائكة..

وللبجعة قدرة فائقة على السباحة والطيران لكنها تفقد رشاقتها إذا سارت على اليابسة.

(موسوعة ويكيبيديا)

حدثوا أن مؤذن مسجده طلبه ذات يوم بداره فلم يجده فذهب فى طلبه إلى البحر فوجده نائما على لجج البحر وفى حجره كتاب تعبث الرياح بأوراقه ولا يصل إليه من رشاش الموج شيء، فأراد المؤذن أن يصل إليه وشرع فى دخول البحرظانا أن العبور إليه سهل فغلبه الماء وخاف على نفسه الغرق، فخرج وقعد على شاطيء البحر ينتظره، فلما أفاق أبو عثمان من نومه خرج من البحر فلما علم أن المؤذن قد رآه قال له يا فلان عاهدنى ألا تحدث أحدا بما رأيت حتى الموت.

(عن أخبار أبى عثمان سعد ابن ميموناسن-كتاب التشوف إلى رجال التصوف)

أسباني

القطار يدوس عليّ
فأرثى لسائقهِ
" مارك ستراند"
الحقول على الجانبين تجذب وجهك المحشوّ بين دفتى كتاب .. تنظرين بعيدا .. ليس فى اتجاه محدد.. تحاولين القبض على تلك اللحظة التى أصبحت نادرة ، شعور غامر بالراحة والمتعة ينتابك فقط لأنك"مسافرة"
تخرجين دفترك من الحقيبة وتبدأين فى الكتابة غير عابئة بعينين تتسللان للتلصص على صفحاتك
"رونق الوصول يختفى.. وهكذا أسير فى طريقي"
تتذكرين قصائد مارك ستراند وصديقك الذى ترجمها ، لم

تلتقيه منذ سنوات، تتمنين فى سرك ألا يصل القطار الأسبانى أبدا وأن تظلى هكذا مسافرة عصية على الإمساك بكِ ومحاطة ببهجة النظر إلى الطفلة النوبية التى تجلس قبالتك بفستانها الفوشية وكسل ذلك الرجل الذى يملأ ك شخيره بالطمأنينة

تكتب فرجينيا(١٠) روايتها عن قطار.. بل عن سيدة فى قطار، ظللتِ لأعوام تكرهين القطارات لأنها تذكرك بمشهد فاتن حمامة فى فيلم "نهر الحب" وهى داخل سيارة مغلقة والقطار يقترب وهى تصرخ دون أن يصل صوتها إليكِ.

تكرهين هذا الفيلم.. قسوة زكى رستم تصيبك بانقباض وتكادين تصرخين بعد موت عمر الشريف "لأ بقى انتم زودتوها قوي!"

تنتبهين فجأة إلى عينين تراقبانك، تسرى رعدة فى جسدك محاولة تثبيت عينيك على البنت فى الفستان الفوشية وتبتسمين.. تعرفين تلك العينين اللتين تشبهان عينى الطفل هانى ابن فاتن حمامة"نوال" فى الفيلم، لكنهما ليستا حزينيتن ولا باكيتين كعينى هانى بل غاضبتين

ظلت تلك العينان تطاردانك أنتِ من بين كل تلاميذ فصل (١ / ٣) الذين شهدوا الحادثة .. رفعت عينيك مواجهة عينى هانى الزائف..

هانى لا يخاف القطار.. هانى يمرر الكرة بيديه وهو يقف بساقين منفرجتين تمر القضبان الحديدية بينهما هانى لا يعرف أن القطار لا

يحب العيال ولا لعب العيال

هانى يصرخ تصلنا صرخاته بوضوح لأنه ليس داخل سيارة فاتن حمامة بل يقف وحيدا أعزل فى مواجهة الوحش الحديدى..

قفزت عينا هانى من مكانهما تراقبان التلاميذ فى الحصص،

ظلت عيناه تراقبانى طويلا بعد الحادث توسوس لى أحيانا أن أثأرله.. لهانى الحقيقى أول رجل يكتب لى رسالة حب فى حياتي

باحبك هاني

عندما كان يتوقف عن مطارتى كنت أطارده أنا .. مرة وجدت هانى يقف بساقين منفرجتين والكرة فى يده

لا.. لن أدع ذلك يحدث ثانية .. قفزت على القضبان كى أدفعه ثم.. سمعت صوت صفيره ورأيت عينيه الحمراوين.. كم كانتا تشبهان عينى هانى.. كانت الصرخات تتعالى من حولى ولم أفق إلا وامرأة تدفعنى بعيداوأنا أقف فى مواجهة القطار لا تفصلنى عنه سوى خطوات..

رونق الوصول يختفى.. وأنا أحب هانى وأحب فاتن حمامة وأكره زكى رستم والقطار الأسبانى.

تخرج من الكابوس

تشبهها الغجرية على الجدار كثيرا.. تريد أن تسأله عمن رسمها لكنه مشغول بتعريتها بتأن، تقاوم شعورا متناميا بالخوف قادما من مكان ما داخل عقلها.. تتشاغل عن خوفها بلعبة قديمة تعلمتها من مجلات الأطفال التى ما زالت تدمنها .. تحاول أن تجد ال(الفروق السبعة) بينها وبين المرأة على الجدار.. للمرأة سرة على شكل مثلث مقلوب.. تمد يدها وتتحسس سرتها

-حاسة بإيه

صوته المتحشرج يبدو غريبا .. لماذا لا تشعر بشيء على الإطلاق؟!، لماذا لا تنطلق صرخة الألم التى انتظرتها طويلا لتكسر صمت المكان، بطرف عينيها تتابع وجهه المتعرق بوسامته المقرفة، تتمنى لو تحول بين يديها إلى وحش طيب يشبه وحش فيلم "كينج كونج" الذى تحبه والذى يشبه رفيق أحلام طفولتها ..

تبتسم لها الغجرية الجميلة بشعرها الكثيف المنفوش فيظهر ناباها الرائعان الطويلان

-حاسه بإيه

تزداد حشرجة صوته فترتعد من البرد.. المرأة على الجدار تمد لها يدا تنتهى بأظافر معقوفة فتنسل من على السريروتتبع المرأة حيث يغادران المكان إلى الشارع المزدحم.

فوبيـــا

تمتد أصابعها المرتجفة تثبت قطعة الملابس البيضاء .. اللون الأبيض يجب أن يتقدم صفوف الملابس المتراصة بعناية، في كوابيسها دائما ترى جسدها يسقط من مكان مرتفع تسمع صرخاتها الآتية من الأعماق، تكمل الصف الأول من ملابسه الداخلية تغمض عينيها وتتجنب النظر لأسفل، في أحلامها ترى جسدها بين ذراعين قويتين لرجل تدرك أنها رأته من قبل لكنها لا تعرفه، تزداد ارتجافتها وتسترق النظر حولها وهي تثبت قميص نومها وسوتياناتها ، تمتليء حبال الغسيل وتمتلئ الشرفات بالأذرع التي تتدافع باتجاهها !

تفتح عينيها على لوحة عباد الشمس المعلقة على الجدار المقابل للسرير .. الألوان البرتقالية والذهبية والصفراء تشعرها بالبهجة ،

تود لو تقفز من السرير وتستقبل حرارة الشمس على وجهها ، في المدرسة كانت تخاف من ملامسته لأنها تخاف أن تعديها بشرته الشاهقة ورموشه البيضاء سيسرق اللون من شفتيها ووجنتيها ويتركها بلا حياة، لذا كان يجب أن تبتعد تشعر بحزنه لأنها ترفض الحديث معه ولا تقبل هداياه .. ، لكنه فاجأها بتلك اللوحة التي ما إن رأتها حتى نسيت مخاوفها وتعلقت عيناها بها، قال لها أنه كان يقلد لوحة لرسام مشهور اسمه فان جوخ.. هذا الولد غريب كلوحته وحديثه الذى لا يشبه حديث باقي الأولاد

لأعوام ستظل عيناها معلقتان على الجدار.. ستملؤها الألوان بالبهجة وتود لوتقفز من السرير لتواجه الشمس !

تدخل بحذر إلى المكان.. تمتد خطواتها ثم تتراجع.. تنجح أخيرا في الوصول تحاول أن تمر بجسدها الضئيل من بين الفراغات التي تتركها الأواني الضخمة.. عشرات الأواني المغطاة لا تعرف ماذا يختبئ داخلها، يأتيها صوته مرحا جميلا كوجهه الوسيم (٣ أكواب دقيق.. كوب سكر، ٣ بيضات..) تهتز يدها فتسقط البيضة على الأرض الباردة، يأتيها صوته رفيعا حادا (٣ بيضات.. كوب سكر) لا تذكر هل تخفق البيض مع السكر أم تضيفه مباشرة للطحين.. هي تنسى كثيرا وهو لا يعجبه ذلك، تشعر بنفسها تتضاءل تحاول الاختباء خلف الأواني الضخمة فيأتيها صوته غاضبا متوعدا (نقول المقادير مرة تانية : ٣ أكواب دقيق.. كوب سكر، ٣ بيضات) !

طریق دائری

وعندما سأراكِ يا صديقتي سأروى لك كيف بكيت اليوم وأنا أقرأ قصة "البيض الذهبي"(١١)، كيف تخيلت نفسى وقد تحولت إلى تلك الدجاجة الحمقاء التى أرادت أن تبيض بيضة ذهبية فأكلت سنابل القمح الذهبية وافترشت القش الذهبى واعتزلت باقى الدجاج تنتظر!

سيارتك مريحة يا صديقتى وصوت فيروز يجعلنى راغبة فى الصمت لكن ماذا تقولين عنى إذا اكتشفتِ عدم قدرتى على نسج الحكايا، ربما تملين يا صديقتى وتذهبين بعيدا.. يا امرأة وحيدة سجينة حكاية وحيدة تروينها وأنا أستمع إليك كل مرة بنظرة حيادية وسيارتك تذكرنى بسيارته السوداء التى تملؤها فيروز بوهم العشق وحكايتك عن الحب لا تغرينى ولا بدمعة واحدة.. فابكِ يا

صديقتى قدر ما تستطيعين ولا تحرمى نفسك تلك الهبة..

ويغنى لي: جاءت معذبتي، فأضحك وأنا أستقل الترام الأزرق وأموت من العذاب، كيف لقصتنا أن تنجح وهو لم يشاركنى ترام المدينة نستقله متجاورين يفضحنا قربنا الزائد عن الحد.. الدجاجة تتلقى بيضتها الأولى بفرح وعندما تكتشف أنها مجرد بيضة تكسرها بحثا عن الذهب المنشود..

(وحدن بيبقوا)هى أغنيته المفضلة، وأنا لم أكن أعرف ماهى أغنيتى المفضلة حتى وجدته: (رغم الزهر اللى متلى لحقول شو ما تحكى وتشرحلى وتقول.. حبيبى تانرجع.. لا مش معقول).

يبدو أننا فقدنا الطريق، لا سهم واحد يرشدنا وهذا يسعدنى ويسعدك لتطول المسافة، لو لم تكن تلك السيارة التى تذكرنى ببكائى المريح على صدره ربما كنت سأحكى لك حكاية أخرى عن جارى العجوز الذى عاش وحيدا مع عائلة كبيرة من القطط والذى نسج الناس حوله الحكايا المخيفة بينما ضبطته مرة يبكى وهو يحتضن قطة سوداء، ربما كانت جنيه وصحيح ما قالوه عنه، ماذا يفعل من يعشق جنية، وماذا سنفعل أنا وأنت على الطريق الدائرى داخل سيارة سوداء وفيروز تخبرنا :أنا صار لازم ودعكن؟، أما الجنية فقد أكلت قطط العجوز لأنها تغار منهت وتركته وحيدا يستقل الترام الأزرق تلتقى أعيننا فيسألني :هل أحكى لك حكاية البيض الذهبي؟

المكان الآخر

يتسع المقهى فتتحرك السيارات مسرعة بين الطاولات ويمتزج صوت أبواقها المزعجة بقهقهات الرجال والنساء وبصوت الأغنيات الصاخبة الذى ينبعث من كل مكان، يزداد المقهى اتساعا.. القطط والكلاب يتكاثر عددها، الرجال والنساء يتلامسون بطريقة غريبة قبل أن يصيبهم هياج كامل حدا بالبعض منهم إلى ممارسة الجنس على أرض المقهى القذرة .. كاد يصيبنى الهياج أنا أيضا لولا شجار عنيف بين عجوزين أدى إلى مقتل أحدهما بينما أخذ الآخر يمزق جثته باستخدام شريحة زجاجية.

ازداد عدد العربات وتضخم حجمها فأخذت حين مرورها تهشم الطاولات وتدهس أجساد الرجال والنساء الممدة على الأرض بينما استمر هؤلاء فى لهاثهم الشبقى وقد غطتهم الدماء تماما.. يدخل

إلى المقهى .. ينزع أحذية الجثث، ينظفها مما علق بها من دماء ، يلمعها جيدا قبل أن يعيدها إلى أقدامهم.. باب المقهى مفتوح لكننى لا أستطيع مغادرته إلى المكان الآخر !

سيرة ذاتية

● **شجرة تفاح**

لن يجيبني أحد على أسئلتى.. سأقلب كل صفحات كتبى المدرسية وكل قصص "تان تان" التى أحصل عليها كهدية نجاح لكننى لن أجد صورتك.. سأبقى لساعات محدقة فى السماء علّك تظهر فجأة وتريحنى من طرح الأسئلة وعندما لا يحدث ذلك سأكف عن وضع شريطة حمراء على ضفيرتى الطويلة وأغطى رأسى بإيشارب أبيض كى تحبنى وعندما تحبنى بالتأكيد ستطل على من هناك وفى يدك وردة بلدى كتلك التى لا أقطفها كي "أروح الجنة".

حصة الرسم تمر سريعاً، أكاد أبكي وأنا أعيدعلبة الألوان إلى الحقيبة.. يداى وملابسى ملطخة بأزرق وأحمر وأخضر.. لماذا لونت عروسة المولد بالأسود والرمادى وجعلت لها وجهاًبلون الطين.. لاأدرى.. لكننى تلقيت سؤال مُدرّستى وضحك العيال بلا مبالاة..

أحب تلك العروسة فهى حلوة وألوانها لن تغرى أحدا بأكلها..

عندما كبرت علمت أنها "مجرد بوسة" !.. أما وقتها كنت مازلت أغلق أزرار قميصى الأبيض حتى أكاد أختنق وأكتب له جوابات غرامية.. لم أتلق علقة من أبى ولا صفعة من أمى، لكننى توقفت عن مبادلة الروايات الرومانسية مع صديقاتى ومشاركتهن النكات الممنوعة فى حصة الألعاب وتلوين شفتى بروج فاقع سرقته من أمى.. فهل كانت قبلة مسروقة كافية لأمزق كل ما كتبته من خطابات وأبدأ فى كتابة قصائد مكسورة الوزن!

• **شجرة توت**

المسافات التى نمشيها معاً فى الجو الخانق طويلة لكن ماء "الميضة" يعيد إلى وجهى ضوءه بعد أن لفحته الشمس.. مَن هذا الذى يأخذنى من يدى ويمر بى على مقامات الأولياء.. يرسم بأصابعه خرائطاً للمدينة القديمة ويفتح مغاليق أبوابها ببساطة فأتوقف عن قراءة التاريخ لأحب جغرافيا تخصنا معاً.. حافية أتجول فى الساحات أتنسم صوت المنشدين لكن صورته تبهت وتختفى المدينة ويظل مقام الحسين مغلقاً رغم دموعى وتوسلاتى.

الجميع يسخر منها أما أنا فأحسست بخوف ينتابنى لأنها ستقاسمنى غرفتى.. غرفة قديمةجدرانها رمادية كئيبة بها عدة أسرة غطتها ملاءات غير نظيفة.. قالوا إن المكان كان معسكراً للإنجليز قديماً فشعرت أننى داخل فيلم رعب مثير.. شبح ضحكة فشلت فى

كتمانها كانت بداية حكاياتها العجيبة عن زوجها الذي "ياما ضربها بالكرباج" عندما كان يضبطها تفتح صندوق الكتب وعشاقها الذين كان نصيبهم الموت أو الجنون والولى الذى يضاجعها قبل كل آذان فجرثم يحممها ويؤمها للصلاة!

طرقات خفيفة على النافذة أيقظتنى لأجدها قد اختفت وأجدك بقميصك المشجر تصحبنى إلى شجرة التوت الكبيرة .. تملأ كفيك بحبات طازجة ألتهمها فأتقيأ دماً أسود يستحيل ثعبانا يفر هارباً بينما أتوسد صدرك ونتخذ الشجرة مسكناً.

• شجرة سنط

بعد كل تلك السنوات تكتشفين أن معجزتك مجرد مقبرة لمن تناوبوا اغتصابك.. !

تعيدين كتابة العبارة مرات بينما يعلوصوت نانسى عجرم وترتفع أعلام مصر ويفرض الزحام نفسه فتفشلين في الوصول فى موعدك المحدد.. تهاتفينه فلا يرد.. الرجل الذى أعادك إلى جوابات الغرام والكذبات البيضاء والإحساس اللذيذ بالذنب.. سيغفر الله كل ذنوبك فقط لو توقفت عن التحديق في السماء بانتظار ظهوره.. ربما تلك هى اللحظة المناسبة لتخلعين الإيشارب الأبيض.. الآن فى الزحام حيث لن يهتم أحد ويقف ليتفرج على ضفيرة سوداء ضامرة.. محلات الذهب بشارع فرنسا تفتح أبوابها بعد الماتش لتترك البريق" يزغلل عنيكي"، تختارين خاتماً بفصوص كثيرة

ستصطحبينه غداً ليشتريه لك وتتركين لجسدك حرية الانسياب داخل الحرير الأبيض.. الذين اغتصبوك اختاروا لأنفسهم توابيت الذهب بينما اكتفيتِ بتابوتك الخشبى.. ماهذه العبارة التقليدية.. ولماذا يقطعون كل تلك الأشجار مرة واحدة ويزرعون أحجاراً ضخمة تحجب عنكِ البحر.. وما الفارق بين مدينتك الصغيرة وتلك المدينة التى تهزأ بكِ سوى أن الرمال تشرب أمطار الشتاء فلا يعلق الوحل بحذائك.. بل ربما هناك فارق آخر.. فى تلك المدينة لا توجد تكعيبة ولا فتاة بجلباب واسع كانت تفتح حضنها عندما تراكِ وتترك الرمان ينفرط بينكما.. درجات السلم تتعب قلبك الضعيف والبيت ليس بيتك والرجل الذى نزع قميصه فبانت حديقة فل لا بيت له بل فندق على البحر سيودعك فى إحدى غرفه البيضاء كتابوتك .. قدماك تؤلمانك فتخلعين الحذاء وتتركين لهما اصطياد شظايا الزجاج ونشارة الخشب.. ترفعينِ وجهك فى محاولة أخيرة للبحث عنه لكن أعلام الفوز الكبير تكون قد غطت السماء تماماً!

اغتيـــال

تلك اليد قبيحة جدا.. فكرتْ وهى تتساءل، ماذا لو تلقيتُ صفعة.. صفعة واحدة فقط من تلك اليد.. سرت رعدة فى جسدها وهى تتخيل اليد القبيحة تتسلل تحت ملابسها وندت عنها آهة قبل أن تلتف الأصابع حول العنق.

علاقـات

يتعمد أن يدوس قدمي بحذائه .. أوووه ..sorryيقولها وهو يتحرك حولي بنشاط .. في يده ملفات يطلب مني دائما التوقيع عليها .. أعلم أنه يتعمد ذلك .. أرى نظرة التشفي في عينيه بعد أن ارتسمت بصمة حذائه على حذائي كصفعة، أشعر بألم أصابعي لكنني أتجاهل الألم.

تأخذ قدمي بين يديها .. أسحبها في حركة عفوية خجلا .. لم أعتد أن أرفع قدمي هكذا بوجه أحد .. أنا خجلة أيضا من أصابعي المنتفخة يتوسط كل منها " كالو" فشلت في التخلص منه .. تضحك من خجلي :يا حبيبتي easyمكسوفة من إيه استني بس لما اخلص هاتدعيلي ..

ثلاثة أعوام ظل فيها يشرح لى الجمال فى كلمات محمود درويش عن أحمد الزعتر "ألغى الفارق اللفظى بين الصخر والتفاح" ، وظللت لثلاثة أعوام أكتب له رسائل طويلة تقربنى من تفاحته المحرمة ، على الهاتف . . جاءنى صوته يخبرنى عن نهاية يراها ضرورية ومن بين دموعي ونحيبى قال متلعثما :!sorry

لم تعد تقول لى "وحشتيني" تقول ..miss youأنا أحب أن أقول وحشتينى رغم ذلك فمازالت صديقتى المفضلة ، ومازلت أخجل من تغيير ملابسى أمامها بينما تفعل هى ذلك ببساطة تقول :رجليكى حلوة فأخبرها عن رغبتى فى شراء "خلخال" . . خدى ده . . تطوق قدمى بخلخالها ، هو جميل لكنه ضيق جدا أشعر به يخنق أعصابى لكننى لا أخلعه .

اللعبـــة

جَلسنا في دائرة.. جاءت جلستي فى مواجهة النافذة.. الألوان الفاقعة للزجاج بدت متناقضة تماماً مع الخطوط الحديدية المتقاطعة التى تشبه نافذة باب زنزانة !

شعرت بالخوف لكن سرعان ما طمأنتنى ابتسامة الفتاة التى تجلس قبالتى، بعض الوجوه أعرفها من قبل لكننى لا أذكر أين أو متى التقيتها.. المكان هنا بارد.. قلت بصوت عال فلم يلتفت أحد..

بدأت اللعبة.. ظهر السلم الأسمنتى مقتحما سقف الغرفة ، لا أحد منا كان يعلم إلى أين يمتد السلم ، بدأت الفتاة التى ابتسمت لى فى الصعود ونحن نصفق لها مشجعين ومتجاهلين علامات الألم والذعر التى ارتسمت على وجهها !

صرخ العجوز الذى يجلس إلى جانبي :هذه اللعبة غير واضحة ولا تحمل أية ضمانات.. أجبناه جميعا مرددين فيما يشبه كورال : أنها مجرد لعبة.. مجرد لعبة.. مجرد لعبة.. غضب العجوز وترك الذائرة إلى إحدى زوايا المكان ، أخرج من حقيبة ظهر كان يحملها ملابس مهرج سيرك وبمجرد ارتدائها ارتد العجوز شابا عشرينيا وسيما رد على نظرة الدهشة في عينى بنظرة ماجنة !

امتلأ المكان حولنا بلاعبى السيرك اللطفاء الذين شغلونا لفترة عن متابعة اللعبة لكننى كنت حزينة لأن الفتاة التى أحببتها صعدت السلم ولم تظل قبالتى تطمئننى بابتسامتها

أعلن الصوت :لا تنخدعوا.. لا شيء هنا حقيقى غير اللعبة.

المرأة التى ترتدى فستانا مخمليا وتضع المساحيق على وجهها كانت التالية ، صعدت الدرجة الأولى .. الثانية.. وفى الثالثة أخذت المرأة تتلوى ممزقة فستانها المحتشم بيديها الغريبتين :أنا مجرد كانجرو.. كانجرو تعيس

قالت المرأة قبل أن تتحول إلى حيوان كانجرو يحمل فى كيس بطنه طفلا آدمياو قبل أن يبتلعها السلم تماما !

استمر لاعبوا السيرك في مناداتنا بأسمائنا وهم يحذروننا من الانصياع لقواعد اللعبة

قال الصوت بحزم: كل هذا غير موجود ، فقط اللعبة هى من يستحق أن يضحى الإنسان من أجله.

كنت قد قررت بعدما حدث عدم الاستمرار فى اللعب.. تلفت

حولى أبحث عن العجوز لكننى لم أجده .. "لم يتبقِ سواكِ" .. قال الصوت آمرا ..

بغضب مكتوم كنت أسير باتجاه السلم الذى اختفى بمجرد أن لامست قدمي أولى درجاته !

تحـــرر

يمسك بلعبته الصغيرة.. تتطاير الفقاعات الشفافة.. يلهث خلفها وهى تصطدم بالمارة .. يكتم ضحكاته وهى تتلاشى الواحدة تلو الأخرى دون أن يلاحظها أحد..

صوت ارتطام.. فى صمت.. تزيل الأصابع بقايا الرذاذ الأحمر!

دائما تحيط بها أسوار عالية.. رائحة الزهور الشهية تتسلل إليها تصعد غير عابئة بصراخ الحيوان الأسود!

عاريا تماما، ومبللا بالمطر.. يتلقى صفعات الكهرباء

النيران تلتهم كل شيء.. كل شيء!

الهوامش

(١) ما بين العلامة "   " من قصة مكتبة بغداد لبورخيس.

(٢) ممثل أمريكى، أحد أبطال فيلم نادى القتالfight club.

(٣) من أغانى الرحى.

(٤) ألكسندر جرهام بل مخترع الهاتف.

(٥) ٣hz أول ترددات موجات الإذاعة في الثانية.

(٦) حكاية ملابس الإمبراطور الجديدة لهانز أندرسن.

(٧) علم التشريح .

(٨) أرتميس :ربة الغابات والبحيرات والصيدوالنباتات البرية فى الديانة اليونانية القديمة.

(٩) هى راقصة وأسطورة البالية الروسية مارينا سيمينوفا لقبت بآلهة الباليه.

(١٠) الروائية الإنجليزية فرجيينا وولف.

(١١) قصة للأطفال لأمجد ناصر.

المحتوى

- عزف منفرد 9
- يكفى للإنتحار 15
- حكاية جبل النرجس 19
- the end 27
- لجحوظ عينيه 31
- هامش 39
- سليمة 45
- فجوتا دماء للرؤية 51
- ذلك الصوت 55
- عينان 63
- حكايات بنات 76
- فاصل إعلاني 79
- مواجهات 85
- أنا اليوم وحيدة 89

-الخضـــراء 93
- بـقى عايز تـنـسـاني 97
- ثلاثة مقاطع للموتى 103
- حذاء شارلي شابلن 107
- الحيـاة الأخرى لملكة البجع 111
- أسـبـانى 117
- تخرج من الكابوس 123
- فـوبـيـا 127
- طـريق دائـري 131
- المـكـان الآخـر 135
- سيرة ذاتيـة 139
-اغتيـال 145
-علاقـات 149
- اللعبـة 153
- تحـــرر 159

للنشر فى السلسلة :

* يتقدم الكاتب بنسختين من الكتاب على أن يكون مكتوباً على الكمبيوتر أو الآلة الكاتبة أو بخط واضح مقروء. ويفضل أن يرفق معه أسطوانة (C.D) أو ديسك مسجلاً عليه العمل إن أمكن.
* يقدم الكاتب أو المحقق أو المترجم سيرة ذاتية مختصرة تضم بياناته الشخصية وأعماله المطبوعة .
* السلسلة غير ملزمة برد النسخ المقدمة إليها سواء طُبع الكتاب أم لم يطبع .

صدر مؤخراً فى سلسلة
كتابة

1- قوارب الشمع.......................... ياسمين مجدى

2- عنقود حياه.......................... أحمد خطاب

3- برق طالع للسما.......................... محمد عبد الخالق

4- نقوش حول جدارية.......................... دعاء إبراهيم

5- فوضى مُعلَنَة.......................... شوكت المصرى

6- كتابوتٍ يسعل بشدة.......................... يوسف شعبان مسلم

7- بتشوف القمر أحسن منك .... أحمد عبد الحكم

8- وبعدها بلحظة .... محمد السعودى نصر

9- القادمون من هناك .... محمد عبد الجواد

10- أطلال الياسمين .... وائل سليم

كتابة

11
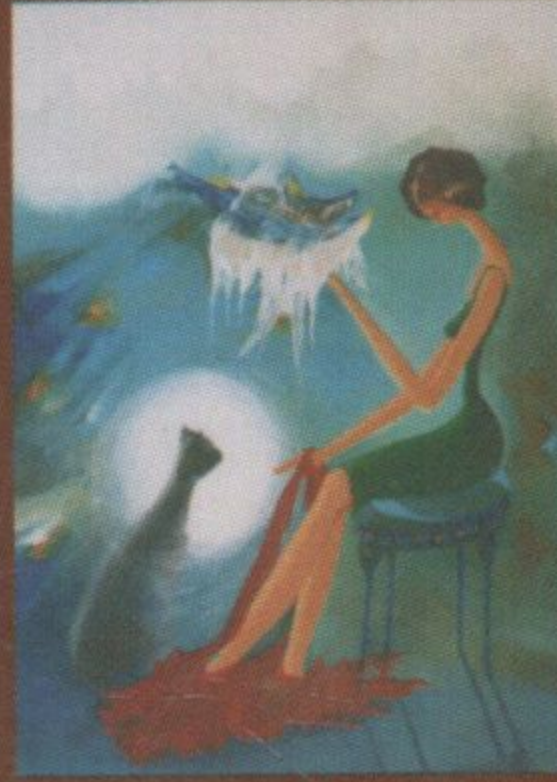
أنا اليوم وحيدة

إيمان السباعي

قالت للقطة السوداء ذات العينين اللامعتين:
أنا لا أخافك اليوم، تعالي وحكّي ساقي بشعرك الناعم، أنا اليوم وحيدة لذا سأعطيكي خبزي كله وأتركك تخربشين جلدي بأظافرك.. خافت القطة السوداء وجرت!

الثمن: جنيهان